دعوة بولس



للقديس
يوحنا ذهبي الفم

دعوة بولس

ترجمة

د. سعيد حكيم يعقوب

الباحث بالمركز الأرثوذكسي
للدراسات الآبائية

اسم الكتاب : دعوة بولس
اسم المؤلف : د. سعيد حكيم يعقوب
اسم الناشر : جذور للنشر
اسم المطبعة: جي. سي. سنتر

E-Mail: opcc2007@yahoo.com
Website: www.patristiccairo.com

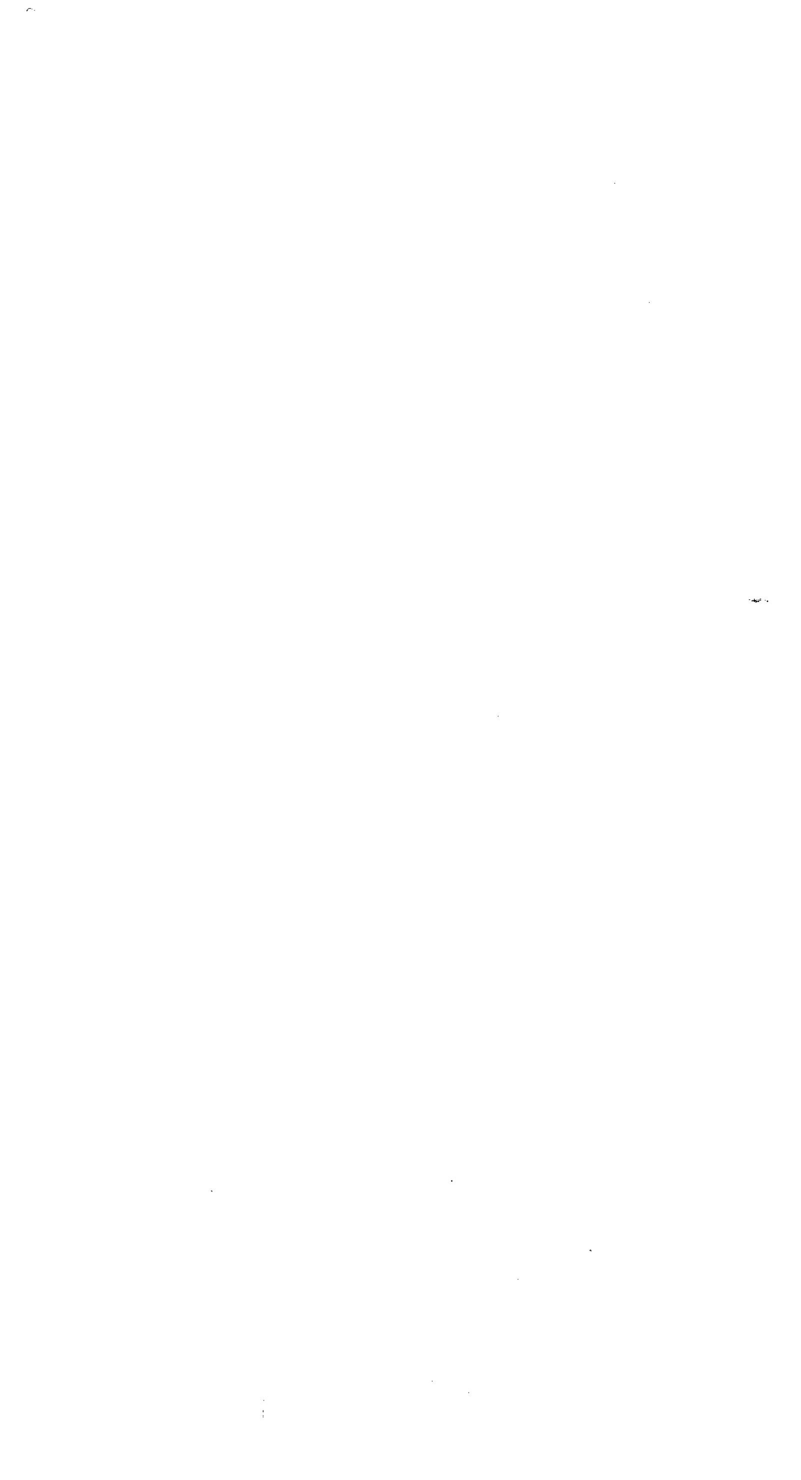


قداسة البابا الأنبا تواضروس الثاني

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



فهرس



مقدمة

لقد عبّر القديس يوحنا ذهبي الفم عن إعجابه الشديد بشخصية الرسول بولس، وإرتبط بشخصه وجدانيًا وفكريًا إرتباطًا شديدًا. ولم يعكف أحد على دراسة رسائل القديس بولس مثلما فعل القديس يوحنا ذهبي الفم، حتى انه في تفسيره لرسالة رومية يقول "كثيرًا ما اتخيله حاضرًا أمامي وإعتقد أنني أراه يتكلم".

في هذه العظة يؤكد القديس يوحنا ذهبي الفم على التحوّل الجذري الذي حدث في شخصية الرسول بولس، وعلى مدى الإستجابة السريعة لكلمة الله، بعد ان أثار إضطراب وأمواجًا هائجة ضد الكنيسة. وكيف أن هذا الصيد الروحي قد أبهج الملائكة لأنهم فكروا كم من الناس سيقودهم من الأرض إلى السماء، وأن الذي شرب من دم الخراف، لم يتوقف عن ان يسفك دمه من أجلها، لقد أبحر بسفينة الكنيسة حتى أوصلها لبر الأمان.

ويؤكد القديس يوحنا ذهبي الفم أيضًا على

أن تغيير رغبة شخص، يُعَد أعظم بكثير من معجزة إقامة الأموات. ومن أجل هذا تحديدًا تُرِك شاول لكي يُظهر كل كُره ثم بعد ذلك دعاه المسيح، لكي يُقيم الدليل على القيامة، ويكون تعليم كرازاته، قويًا لا يقبل الشك. هذا التحوّل الذي حدث للقديس بولس يُمثّل دليلاً على محبة الله للبشر، وعلى قوته في تغيير إرادة البشر، كما يقول القديس يوحنا ذهبي الفم.

تمت الترجمة عن النص اليوناني المنشور في مجموعة آباء الكنيسة اليونانية (ΕΠΕ) الصادرة في تسالونيكي سنة ١٩٧٣ المجلد رقم ٣٦ ص٥٣٧-٥٦٧.

نرجو أن يستخدم الله هذا العمل لمجد إسمه في كنيسته، بشفاعة والدة الإله العذراء القديسة مريم والقديس يوحنا ذهبي الفم، وصلوات جميع الآباء الرسل، والآباء المطارنة والأساقفة ولإلهنا كل مجد وإكرام إلى الأبد آمين.

الرسول بولس

حياته ونشاطه قبل تحوله:

وُلد القديس بولس الرسول بمدينة طرسوس التابعة لكليكية (أع٢٢:٣) لأبوين يهوديين من سبط بنيامين (رو١١:١، في٣:٥) وقد أُعتبر هذا السبط مع سبط يهوذا هما أكثر الأسباط نقاوةً. وقد كان الرسول بولس يحمل الرعوية الرومانية عن أبيه الذي كان مواطن روماني، وهذا الحق أكتسبه بالتبعية (أع١٦:٣٧-٣٨)، ومن الواضح أن حاملي هذه الرعوية، كانوا يُعَدون من أعلى المراتب الإجتماعية في كليكيا.

إسمه القديم هو شاول (أع٧:٥٨، ٨:٣، ٩:١، ٤، ٨، ١١، ١٧، ١٩، ٢٢- ١١:٢٥، ١٣:٢) وهذا واضح على وجه الخصوص في (١٣:٩)، إذ يذكر القديس لوقا " وأما شاول الذي هو بولس". لأنه كما هو معروف بحسب عادة ذلك الزمان، أن يهود الشتات كانوا يستخدمون إسم مزدوج لنفس الشخص، هكذا أُضيف إسم آخر لشاول فيما بعد - وكمواطن روماني - فقد إستخدم الإسم اليوناني أو الروماني بولس

في أعمال الرسل (٩:١٣)، مثلما هو الحال في بعض الأسماء مثل (إيسوس - ياسون، باكوف - ياكوڤوس، يوسيف - يوسيبوس الخ).

الإسم الثاني لم يكن غير مألوف في العائلات الرومانية ذو المكانة الإجتماعية المرموقة.

وقد إخُتتن القديس بولس في اليوم الثامن لميلاده، الأمر الذي يعني أن أبويه كانا من الأتقياء الخاضعين للناموس، وإن كانا على دراية باللغة اليونانية، كما كان بولس نفسه ذو ثقافة يونانية واسعة، وله دراية كبيرة باللغة اليونانية. لأن أبوية كانا قد إعتنيا وهو بعد في سن صغير أن يكتسب أهم وأفضل أنواع الثقافة اليونانية في مدينة طرسوس التي نمى وترعرع فيها، وهذا ما يظهر بوضوح في رسائله. وهناك تعلّم اللغة اليونانية، وطريقة التفكير اليونانية، وأسلوب حياة اليونانيين.

مدينة طرسوس - بحسب ما أورد المؤرخ سترافوناس (Στράβωνας) - كانت مدينة مهمة ومعروفة في زمن الرسول بولس، وقد إُعتبرت في نفس المكانة والقيمة مع أثينا والأسكندرية. وكانت مركزًا لكثير من الفلاسفةالرواقيين، ومكانًا عالميًا للإتصال والتلاقي بين حضارتين

هامتين، الحضارة اليونانية الرومانية في الغرب، والحضارة البابلية في الشرق. هذه البيئة الطرسوسية، حيث وُلد ونمى القديس بولس، كانت تسودها الثقافة والفكر اليوناني، وهذا الأمر كان له تأثيره الواضح على طريقة الحياة هناك، وكان من المستحيل أن يتجنب يهود الشتات الذين كانوا يعيشون هناك، هذا التاثير. فالقديس بولس كان يتكلم ويكتب باليونانية، تمامًا مثلما يتكلم ويكتب بلغته الأم [١].

هذا ما أكده الرسول بولس، عندما تحدث عن نفسه وعن المدينة التي إنحدر منها، إذ يقول " أنا رجل يهودي طرسوسي من أهل مدينة غير دنية من كليكية" (أع٢١ :٣٩).

وقد إحتفظت الجالية اليهودية في مدينة طرسوس بعاداتها وتقاليدها، وحياتها الإجتماعية، من خلال المجمع اليهودي، الذي كان المركز الروحي لهم، والذي كان يُشكّل أيضًا مركزًا للعبادة، والصلاة، وتعليم الشعب الناموس الإلهي. وقد نمى القديس بولس في مثل هذه الأجواء، وسمع عن وجوب إحترام وتوقير الآباء، والأنبياء، وتعلّم حفظ الناموس بغيرة كبيرة. إذن فقد نمى في

[1] Joseph Holzner « παύλος» μετ. ιερωνήμου, Αρχιεπισκόπου Αθηνών, Αθήνα, 1967, σελ. 17-19.

مُحيط هذا التيار اليهودي الديني المتشدد، الذي كان يؤكد وبإستمرار على أن الحياة الحقيقية، مرتبطة بحفظ الناموس بكل دقة، وهذا سيُحقق رجاء الشعب في التحرر من سطوة حكم الرومان.

لكن بصرف النظر عن المناخ الذي تربى ونمى فيه القديس بولس، وعن مدى تاثر الفكر والثقافة اليونانية عليه، إلا أن الرسول بولس تميّز بفطنته وذكائه، وآرائه الموضوعية، التي آهلته أن يطرح أفكارًا موضوعية عن العالم الوثني الذي كان يعيش فيه.

هكذا تعلم لغته الأم، واللغة اليونانية في محيط يهودي أكثر منه يوناني، فتعليمه وتربيته كانت عبرانية، ورابانية. ومن الواضح أن كلا من اللغتين العبرية، والآرامية، كان يتم التحدث بهما في بيته، لأنه هكذا يمكن تفسير سهولة تحدثه باللغة العبرانية فيما بعد أمام تجمع كبير في أورشليم كما جاء بسفر الأعمال "فلما سمعوا أنه ينادي لهم باللغة العبرانية" (أع٢٢:٢٢). ولم يكتف الرسول بولس بإكتسابه اللغة والثقافة اليونانية، بل إنه ذهب إلى أورشليم ليُكمل دراساته للناموس عند معلم حكيم، ولكي يعرف الناموس بصورة تامة وكاملة وفُضلى،

كشخص ينحدر من يهود الشتات. ومن الواضح آيضًا أنه كان ينتسب إلى عائلة ميسورة الحال.

كانت أورشليم في ذلك الوقت هي العاصمة الخاصة باليهود، وكان قراره بالإنتقال إلى أورشليم يعكس مدى تشدده الديني الذي تربي عليه.

ويشير سفر الأعمال (٢٣:١٦) إلى شخص ما، هو إبن أخت القديس بولس الذي أخبره بالكمين الذي كان مُعَد لقتل بولس، هذا يعني كما هو واضح أن له أخت مُتزوجة كانت مُقيمة في أورشليم، ومن المحتمل أن يكون الرسول بولس قد أقام عندها خلال فترة دراسته هناك. وربما يكون هذا هو السبب الرئيسي الذي دعى الرسول بولس أن يأخذ قراره بالإنتقال إلى أورشليم لإستكمال دراسته .

بدأ القديس بولس دراسته للناموس عند أقدام غمالائيل المعلم الفريسي الحكيم، والذي كان - بحسب التلمود - له معرفة بالأدب اليوناني، وكان يُشجع على دراسة اليونانية.

تعلم بولس عند غمالائيل المنهج الديني اليهودي، وطريقة التفكير اللاهوتي، وطريقة إستخدام الكتاب المقدس. وقد إنضم بسرعة

إلى طبقة الفريسيين، وإن كان لا ينتسب إليها عن طريق أبويه. وقد صار القديس بولس من الغيورين، وأصبح لديه معرفة عميقة ليس فقط بالأمور الدينية، بل أيضًا بالأمور العلمية الخاصة بأهم وأدق الموضوعات المتعلقة بالناموس.

ولهذا كان له كل الحق ان يكتب "ورُبَيت في هذه المدينة مُودَّبًا عند رجلى غمالائيل على تحقيق الناموس الأبوي وكنت غيورًا للّه" (أع٢٢:٣). وهو يريد أن يُظهر هنا، انه وإن كان قد آتى من بين يهود الشتات، وتربى في بيئة أممية، إلا أنه ليس فقط لم يضعف أو يُعاق، بل بالعكس قد دافع عن الناموس وكان غيور للّه، وكما يعترف هو نفسه بهذا، انه كان أكثر غيرة من أترابه ـ في تقليدات آبائة، بسبب تقدمه في الديانة اليهودية، إذ يقول "فسيرتي منذ حداثتي التي من البداءة كانت بين امتي في أورشليم يعرفها جميع اليهود" (أع٢٦:٤)، وأيضًا "كنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات أبائي" (غل١:١٤).

وبالإضافة إلى هذه الدراسات التي أتمها في اورشليم، فقد تعلّم أيضًا صناعة الخيام، والتي

ساعدته فيما بعد على المعيشة، وأن لا يُثقل على المؤمنيين في الكنائس التي أسسها (أع١٨ :٣). إن تعلّم مهنة معينة كان بمثابة عادة لدى اليهود، وخاصةً لدى الرابانيين، بل هو إلتزام ينبغي تتميمه، حتى يستطيعوا أن يؤَّمنوا معيشتهم.

هكذا كانت نشأة القديس بولس الذي درس اللغة اليونانية وأجادها، وتمرَّس على طريقة التفكير اليونانية وتثقف بالثقافة اليونانية، ثم درس الناموس بكل دقة وتقدم في الديانة اليهودية. وهكذا صار ذو ثقافة مزدوجة، أو ثقافة حاملة لعنصرين مختلفين، العنصر اليوناني (بما يحمله من فلسفة، وأدب، وشعر، وخطابة) والعنصر اليهودي (بما يحمله من تعاليم لاهوتية يهودية - تقليدات الآباء - وتعاليم الناموس).

هذا التكوين الفكري، الذي هو نتاج ثقافتين مختلفتين، يَظهر فيما كتبه من رسائل، فمرة يظهر مدى تأثير التعليم اليوناني في كتاباته، حتى انه يستخدم تعبيرات لكتّاب يونانيين قدماء، مثلما يقول "كما قال بعض شعراءكم"، وفي رسالته إلى تيطس أسقف كريت يستخدم عبارة مواطنة أبيميندي (Επιμενίδη) "الكريتيون دائمًا كذابون" (تيطس١ :١٢). وفي رسالته الأولى إلى

كنيسة كورنثوس، يستخدم عبارة ماناندروس (Μενάνδρος) (شاعر يوناني في القرن الرابع قبل الميلاد) "المعاشرات الردئية تُفسد الأخلاق الجيدة" (١كو١٥:٣٣)[2].

هكذا كانت خطة الله لاعداد الرسول بولس، لأنه كان ينبغي أن يدرس ويتعلم كلا الثقافتين، حتى تكون له القدرة على مواجهتهما. فاليهود كانوا ولا زالوا يَدّعون بأنهم أصحاب الديانة الحقيقية الوحيدة، والرومان قد إحتلوا كل المسكونة آنذاك، بينما اليونانيون ظهروا وقد إمتلكوا ناصية الثقافة، والفلسفة، والعلوم بشكل عام، وقد كانت اللغة اليونانية هي السائدة بين الأمم في كل الإمبراطورية الرومانية في ذلك الوقت.

كل هذه الميزات والإمكانيات التي كان يتمتع بها القديس بولس كانت تنتظر فقط الوقت الملائم لكي يستخدمها الله لإعلان مجده في كل المسكونة "هذا لي إناء مُختار ليحمل إسمى أمام أمم وملوك وبني إسرائيل" (أع٩:١٥).

وكانت بداية تحوّله هي ظهور الرب له وهو

---

[2] Joseph Holzner « παύλος» μετ. ιερωνήμου, Αρχιεπισκόπου Αθηνών, Αθήνα, 1967, σελ. 17-19.

في طريقه إلى دمشق ليمارس إضطهاده المعتاد ضد الكنيسة. إلا أنه صار أداة للنعمة الإلهية، وإستخدمه الروح القدس لتحقيق الخطة الإلهية التي كانت معده له. فنعمة الله لم تترك هذه الشخصية التي تملك كل هذه الإمكانيات أن تستمر في إضطهاد الكنيسة على هذا النحو. وقد إعترف القديس بولس ـ الذي كان شاهدًا على قتل أول شهيد في المسيحية وهو القديس إستفانوس ـ والذي كان حافظًا لثياب الذين قتلوه، بأنه كان يضطهد كنيسة الله بإفراط ويتلقها، وكان عدوًا لدودًا للمسيحين، إلا أنه كان يصنع هذا بجهل وعدم معرفة، ظنًا منه أنه بفعل هذا إرضاءًا لله، وحفظًا للناموس، ولتقليدات آبائه. وربما هذا هو السبب الذي لأجله قد وضعه رؤساء الكهنة على رأس فريق لمطاردة المسيحيين، الذين كانوا ضد تقليدات آبائه، كما يقول هو ذاته "فأنا رأيت في نفسي أنه ينبغي أن أصنع أمورًا كثيرة مضادة لإسم يسوع الناصري وفعلت ذلك أيضًا في أورشليم. فحبست في سجون كثيرين من القديسين آخذًا السلطان من قبل رؤساء الكهنة" (أع٢٦ :٩ـ١٠).

لأنه كان يعتبر أن التعليم المسيحي بشأن صلب المسيح بين لصين ـ تجديف ـ لأن يسوع هو المسيا

المنتظر الذي أخبرت عنه النبوات. وهو رجاء إسرائيل.

هذا الشخص الذي أضطهد المسيحيين بقسوة. قد إختاره اللّه، وجعله أداة له، مناديًا بكلمة اللّه في كل مكان، مُعلنًا البشارة المفرحة لكل الناس في كل المسكونة، باذلاً نفسه لأجل الجميع. ومن ذلك الوقت تطابقت حياته مع البشارة بإسم المسيح، ومع تعاليم الإنجيل في كل مكان، كما كتب هو نفسه قائلاً "لما سُرَّ اللّه الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته ان يُعلن إبنه فيّ لأبشر به بين الأمم"[٣] . لقد حوّله المسيح وعينّه ليكون مُبشر بكلمة اللّه، بعد أن كان مضطهدًا للكنيسة.

تحوّله إلى المسيحية:

لقد دعاه المسيح لكي يكرز بالإنجيل، دون أن يكون لهذا الأمر أي إعداد نفسي مُسبق، أو أي إشارة توحي بذلك، فظهور المسيح له وهو في طريقة إلى دمشق، كان حدثًا حقيقيًا وتاريخيًا، وشكَّل نقله نوعية وفاصلة في حياته . فالرسول بولس نفسه، يُميّز هذا الظهور عن

٣ غل١:١٥

كل الإعلانات والرؤى الأخرى التي كانت تحدث له من وقت لآخر، حتى عندما أُختطف للسماء الثالثة، لم يكن متأكدًا إن كان هذا قد حدث بالجسد أم خارج الجسد (٢كو١٢ :٢).

أما عن رؤيته للمسيح وهو في طريقه إلى دمشق، فكان مُتأكدًا من الحدث، ويُحصية مع باقي ظهورات المسيح للرسل في فترة الأربعين يومًا التي سبقت الصعود، كما جاء في رسالته الأولى لكنيسة كورنثوس (١٥ :٥-٩). وهذا قد أعطاه الحق أن يَدعى رسولاً، طالما أن دعوته من الرب، قد تمت بشكل مُباشر. هذا التحوّل الذي حدث للرسول بولس بعد ظهور المسيح له، قد جعله يتغيّر إلى إنسان آخر يحمل رؤى آخرى، ويسعى لتحقيق أهداف أخرى. ولهذا فإن هذه اللحظة قد شكّلت الحد الفاصل بين حياته القديمة، وحياته الجديدة، وبداية لمسيرة جديدة تمامًا تخصه هو ذاته، وتخص الكنيسة بشكل عام.

لقد صارت حياته في المسيح مُنقادة بالروح القدس، وهذا ما اعلن عنه بقوله " لا أنا بل نعمة اللّه التي معي" (١كو١٥ :١٠).

وقد وُصِف حدث تحوّله هذا في ثلاثة مواضع بسفر الأعمال في الإصحاح(٩ :١-٢٩)، (٢٢ :٣-٢١)،

٢٢:٤-٢١). فيما عدا الإشارات الاخرى التي أوردها هو نفسه في رسائله مثل (غل١ :١٣)، (١كو١١ :١، ٨:١٥)، (في٣ :١٢)، (أف٣ :٣). هذه الإشارات وإن كانت تحمل بعض الفروق في التفاصيل، إلا أنها تتلاقى فيما بينها في توافق، لأنها تتفق في الخطوط الرئيسية، ومذكورة من الرسول بولس نفسه. وبحسب هذه الشهادات، فإن تحوّل بولس لم يحدث بواسطة أحد التلاميذ، بل قد صار رسولاً ومناديًا بكلمة اللّه بواسطة دعوة مباشرة من المسيح، ليقوم بعمل كرازي ويتمم رسالته الرسولية. فقد عيّنه المسيح ليكون رسولاً للأمم.

وبعدما إعتمد إنطلق إلى العربية (جنوب دمشق)، ربما ليتجنب اليهود الذين حاولوا قتله، بعد ذلك عاد إلى دمشق مرة أخرى حيث بدأ عمله الكرازي الذي إمتد إلى ثلاثة سنوات، كما أشار هو إلى ذلك بقوله: "إنطلقت إلى العربية ثم رجعت أيضًا إلى دمشق ثم بعد ثلاث سنيين صعدت إلى أورشليم" [٤].

وقد أقام بعض الأيام في دمشق برفقة تلاميذ المسيح مُبشرًا بإسم المسيح في المجامع، مما أثار حفيظة اليهود، واثار إندهاش التلاميذ. ثم بعد

[٤] غل ١:١٧ ـ ١٨

ذلك صعد إلى أورشليم وتعرف على القديس بطرس ومكث عنده خمسة عشر يومًا، ولم ير غيره من الرسل، إلا يعقوب أخا الرب. وفي تلك الفترة كان التلاميذ حذرون من الإقتراب منه، لأنهم كانوا يخافونه كضطهد للمسيحيين. لكن أخيرًا أخذه برنابا - كما يخبرنا سفر الأعمال - وقدمه لبعض الرسل، وقص عليهم رواية تحوّله للمسيحية، " كيف أنه أبصر الرب في الطريق وأنه كلَّمه وكيف جاهر في دمشق بإسم يسوع"[٥] . هكذا صار مقبولاً من التلاميذ، وبدأ يكرز بإسم يسوع بكل شجاعة - ويشير سفر الأعمال أن الرب قد ظهر لبولس مرة أخرى وقال له " أسرع واخرج عاجلاً من أورشليم لأنهم لايقبلون شهادتك عني"[٦] .

وكان قبل ذلك يكرز في أقاليم سورية وكليكية، كما يخبرنا هو نفسه بذلك (غل١ :٢١). لكن ليس لدينا معلومات كافية عن نشاطه هذا في تلك الأقاليم، ولم يُقدم أي معلومات عن تلك الفترة، سوى أن بعض الكنائس كانت قد سمعت أن "الذي يضطهدنا قبلاً. يُبشر الآن

---

٥ أع ٩ :٢٦-٢٨

٦ أع ٢٢ :١٧-١٨

بالإيمان الذي كان قبلاً يُتلفه"[٧] .

لقد تحول القديس بولس من شخص كان "يضطهد كنيسة الله بإفراط ويتلفها"، إلى شخص لديه رغبة شديدة لأن يتصور المسيح في الجميع، فقد أخذ على عاتقه تتميم هذا الهدف في كل مكان ذهب إليه. كان أب حنون يتابع أحوال المؤمنين ونموهم الروحي، وثباتهم في المسيح. وهكذا تحوّل الثعلب إلى راعي كما يقول القديس يوحنا ذهبي الفم.

لقد عبّر الرسول بولس كما لم يُعبّر أحد من قبل عن تجلّي الكون كله، بتجسد المسيح، وصلبه، وقيامته. وإستطاع أن يقول مُفتخرًا " الأشياء العتيقة قد مضت وهوذا الكل قد صار جديدًا" (٢كو٥:١٧). والمعني هنا واضح أي أنه خلال المسيرة الطبيعية لعجلة الزمن وحركة التاريخ، حدث تحول جوهري وأساسي في الخليقة، تمثّل في حضور الله ذاته بين البشر لأجل خلاصهم. فالله الذي خلق الكون من العدم هو ذاته يجدده مرة اخرى، ويغيّره جذريًا، ويُنشأ خليقة جديدة. فظهور الإنسان الجديد - آدم الجديد - كما يدعوه القديس بولس

---

٧ غل ١:٢٣-٢٤

(رو١٢:٥)، هو الذي أدى إلى تجديد العالم كله . وهذا ما جازه الرسول بولس على المستوى الشخصي، فقد تحرر من كل إرث الماضي، وقيود الناموس، وأصبح إنسانًا جديدًا تمامًا ينعم بكل عطايا الروح القدس، وهبات الحياة الجديدة في المسيح .

دعوة بولس

الإستجابة لكلمة الله :[٨]

عندما قُرِأَ هذا الجزء "أما شاول فكان لم يزل ينفث تهددا وقتلاً"[٩] ، كان من الطبيعى، كما توقع الجميع، أن يكون الحديث من بداية الإصحاح التاسع لسفر الأعمال، لان دعوة بولس هي دليل على القيامة.

١. كل يوم يصل نسبة الذين يحضرون اجتماعنا إلى اقل عدد. فبينما تمتلئ المدينة بالبشر، نجد الكنيسة فارغة منهم. السوق والمسارح، والطرقات ممتلئة، أما بيت الله فهو فارغ من أعضاءه، أو من الأفضل، إن كنا نريد أن نقول الحقيقة ونتوخى الدقة، إن المدينة هي الفارغة، والكنيسة هي الممتلئة. لأنه لا ينبغي أن تدعو هؤلاء الذين يترددون على السوق، بشرًا ، أما البشر فهم أنتم الذين داخل الكنيسة، وليس هؤلاء الذين يتسمون باللامبالاة، بل انتم يا من

---

٨ العناوين الجانبية من وضع المترجم.

٩ أع ٩ :١.

تجاهدون. وليس هؤلاء الذين يهتمون بالأمور الدينوية، لأنكم تُفضلون الأمور الروحية على كل شيء. فالإنسان ليس هو من له جسد وصوت إنسان، بل الذي له نفس وإرادة الإنسان. وليس من شيء يدل على وجود النفس الإنسانية، إلاّ أن يحب المرء كلام الله. كما انه لا يوجد شيء يمثل ملمحًا ودليلاً على نفس حيوانية وشاذة بهذا القدر، إلاّ احتقار المرء لكلام الله.

هل هذه يا تُرى أمور مُحتملة؟ هل يمكن الصبر عليها؟ هل تريد أن تعرف إن أولئك الذين يحتقرون سماع كلام الله، قد فقدوا الكثير، وبشكل خاص الصفة التي تميز الإنسان، وسقطوا من حالتهم النبيلة؟ إنني لا انقل لكم كلامي الشخصي، لكني سأذكر لكم كلمة نبوية، تدعم ما أقوله، لكي تروا أن كل من لا يرغب في الكلام الروحي لا يستطيع أن يكون بشرًا، ولكي تدركوا أن مدينتنا خالية من البشر. إذن فإشعياء صاحب الصوت العظيم، ذاك الذي رأى رؤى عجيبة، الذي رأى السيرافيم، وهو لازال بعد في هذه الحياة، والذي سمع ذلك النغم السري، بعدما دخل إلى المدينة الأم كثيرة السكان ـ أي أورشليم ـ وبعد



أن وقف في منتصف السوق، وأحاط به كل الشعب، أراد أن يُبرهن على أن كل من لا يسمع كلام الأنبياء ليس إنسانا، صرخ قائلاً:"لماذا جئت وليس إنسان ناديت وليس مُجيب" وقد قال هذا، لا بسبب عدم حضور احد أمامه، لكن لأجل لامبالاة المستمعين إليه، فبعدما قال "جئت وليس إنسان" أضاف "ناديت وليس مُجيب"[10].

وبالرغم من وجود الحاضرين، لكنهم لا يُعتَبَروا حاضرين، لأنهم لم يسمعوا للنبي. لهذا ولأنه آتى، ولم يوجد إنسان، دعى ولا من مُجيب ليطيع، حوّل كلمته تجاه عناصر الطبيعة، قائلاً:"اسمعي أيتها السموات وأصغي أيتها الأرض"[11] لأنني أُرسلتَ إلى بشر، إلى بشر عاقلين. لكن عندما لا يستخدمون العقل والاحساس، فإنني أتوجه إلى العناصر التي ليس لها إحساسًا، لكي يدينوا أولئك الذين على الرغم من أنهم يمتلكون الإحساس، لكنهم لا يستخدمون هذه الكرامة. هكذا قال نبي أخر وهو ارميا، بعدما وقف بين جمع من اليهود في نفس المدينة، صرخ قائلاً "من اكلّمهم وانذرهم

---

١٠ إش ٥٠ : ٢

١١ إش ١ : ٢.

فيسمعوا؟" كما لو كان لا يوجد هناك احد حاضرًا. ماذا تقول؟ برغم وجود هذا الجمع الكبير، هل تسأل مع من تتكلم؟ يقول نعم. لأنه يوجد جمع من الأجساد ، وليس جمع من البشر، يوجد جمع من الأجساد ، لكن ليس لهم أذان. ولهذا تحديدًا أضاف:"ها إن أذانهم غلفاء فلا يقدرون أن يصغوا". أرأيت أن كل هؤلاء ليسوا بشرًا ، لأنهم لا يسمعون؟ إشعياء يقول جئت وليس إنسان. ناديت وليس مُجيب". وارميا يقول:"من أكلّمهم وانذرهم فيسمعوا[١٢]. ها إن أذانهم غلفاء فلا يقدروا أن يصغوا".

هجرة البيت الأبوي:

إذن طالما أن الحاضرين لم ينصتوا باهتمام إلى كلامهم، قال الأنبياء أنهم ليسوا بشرًا ، فماذا نقول نحن لهؤلاء الذين ليس فقط لم يسمعوا ، بل لم يحتملوا أن يَعبُروا من هذا الباب المقدس (الذي للكنيسة)، ماذا نقول لهؤلاء الذين ينخدعون وهم خارج هذا القطيع المقدس، ولماذا هم بعيدون عن هذا البيت الأبوى، فهم قائمون في مُفترق الطرق، وفي الطرقات الصغيرة، كأولاد

---

١٢ إر ٦ : ١٠.



عشوائيين ولا مبالين؟ لأنه بالحقيقة قد هجر هؤلاء بيتهم الأبوي، وتجوّلوا في الخارج وقضوا يومهم في ألعاب طفولية. ولهذا تحديدًا فإن هؤلاء الأولاد قد فقدوا الحرية وفقدوا حياتهم. لأنه بعدما سقطوا في أيدي خاطفين ولصوص، بسبب لامبالاتهم، أحيان كثيرة، نجدهم يدفعون الثمن بالموت، أي عندما يُمسك بهؤلاء ويُنزع عنهم الحلي الذهبية، أو يلقون بهم في مياه الأنهار، وإذا عُومِلوا معاملة إنسانية يُقادوا إلى بلد غريب وهناك يُتركوا لشأنهم. هذا ما يُعانيه هؤلاء (الذين هم خارج الكنيسة). لأنه عندما يبتعدون عن البيت الأبوي ولا يُقيمون فيه، يسقطوا فريسة في أفواه الهراطقة وألسنة أعداء الحقيقة. ثم بعد ذلك ـ كما لو كان قد قُبْض عليهم من خاطفين ـ ينزعوا عنهم التحفة الذهبية التي للإيمان، ويغرقونهم على الفور، دون أن يلقونهم في الأنهار، بل يغطسونهم في عقائدهم المنحرفة والقذرة.

دعوة للمشاركة في المائدة الروحية:

٢. ستكون مهمتكم الإهتمام بخلاص هؤلاء الأخوة، وأن تُحضروهم بالقرب منّا، وحتى لو

قاوموا، أو جادلوا، أو صرخوا، أو بكوا، فهذه المقاومة، واللامبالاة، هي من سمات الفكر الطفولي. لكن أصلحوا انتم نفوسهم التي لم تكتمل بعد. في أيديكم أن تقنعوهم أن يصيروا بشر. لأنه كما اننا لا نعتبر من يرفض الطعام الآدمي ويأكل أشواكًا وأعشابًا مع الحيوانات، إنسان. هكذا أيضًا لن نطلق كلمة إنسان، على من يكره الطعام الحقيقي واللائق بالنفس الإنسانية، الذي ينتج من الكلمات الإلهية، ولا أيضًا على من يجلس في ندوات ولقاءات دنيوية والتي دائمًا ما تكون مملوءة بذاءة، وسفاهة، وكلمات خارجة عن اللياقة.

لان الإنسان بالنسبة لنا ليس هو فقط الذي يتغذى على الخبز، بل هو من يتذوق الكلام الإلهي والروحي، قبل أن يتذوق طعامه الجسدي وإذا أردت أن تعرف هذا، فاسمع ما يقوله المسيح له المجد " ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله"[١٣] وبناءًا على ذلك فإن طعامنا هو طعام مزدوج. أحدهما هو الأدنى (أي المادي) والأخر هو الأفضل (أي الروحي). وهذا الطعام الروحي هو ما ينبغي أن يبحث عنه

---

١٣ مت ٤ : ٤



الإنسان ويسعى إليه بشكل خاص، حتى يُغذي نفسه، ولا يتركها تنهار جوعًا.

إذن فبإمكانكم أن تملؤا مدينتنا بالناس. لان هذه المدينة الكبيرة والكثيرة السكان تفتقر للبشر، وان كنتم أبرارًا، فيمكنكم أن تقدموا هذه العطية للوطن وان تجذبوا إخوتكم، لو أنكم نقلتم لهم ما يحدث هنا في الكنيسة. لأننا نستطيع أن نُقنع شخصًا بأن يتمتع بمائدة، ليس فقط عندما نُشيد بالمائدة، ولكن حين يكون لدينا ما نُقدمه من طعام على هذه المائدة. هذا ما يجب أن تفعلوه انتم الآن، و في كل الأحوال سيحدث أمر من اثنين، إما أن تُقنعونهم أن يعودوا إلينا، وإما سيظلوا يتغذون بكلامكم طالما أنهم باقون في نفس الصراع بين الرفض والقبول، إلاّ أنهم ربما سيعودون يوما ما. لكنهم لن يعودوا لو أنهم فضّلوا أن يتغذوا على أعشاب، هذا من جهة، بينما يستطيعون من جهة أخرى أن يتمتعوا وبوفرة من هذه المائدة الأبوية. ومن المؤكد أنكم تفعلون هذا، أو فعلتموه، أو ستفعلونه، فهذا ما أتوقعه، وأؤمن به للغاية. لأنني أنا نفسي لم أتوقف عن أن أنصحكم بهذا، وانتم أيضًا لديكم وفرة من

معرفة وتستطيعون أن تنصحوا الآخرين.

إنها ساعة الآن أن أُقدم لكم مائدتي، وهي بسيطة وفقيرة، مملؤة بأنواع فقيرة جدًا، إلا أنها تحتوي على طعام رائع، وهو رغبة المستمعين إلى سماعي. لان المائدة الأكثر بهجة، لا تتيحها فقط الأطعمة الفخمة، بل تُعِدها أيضًا شهية المدعوين. هكذا نجد أن هناك المائدة الغنية بالأطعمة، تبدو بسيطة، عندما تخلو من جائعين يشاركون فيها، والمائدة البسيطة ستبدو غنية، عندما تستقبل المدعوين الذين يطلبون الطعام. وهذا ما يعترف به أيضًا شخص أخر (سليمان الحكيم)، أي الذي يصف الموائد الغنية، ليس هو طبيعة الطعام المقدم، بل رغبة المدعوين، فيقول "النفس الشبعانة تدوس العسل للنفس الجائعة كل مر حلو"[١٤] . لا لان طبيعة الطعام الموضوع تتغير، بل لان رغبة المدعوين تُغيّر مذاق الطعام. لكن إن كانت المذاقة المرة للطعام تبدو حلوة بسبب شهية المدعوين، فبالأكثر جدًا، الموائد الفقيرة تبدو غنية. لهذا فنحن أيضًا، الذين نحيا في فقر مُدقع، فلنحاكي أرباب البيوت الذين يتسمون بالكرم، الذين يقدمون وجبات غنية

---

١٤ أم ٢٧ : ٧.



برغبة صادقة وفرحة نفس، إننا في كل اجتماع ندعوكم إلى مائدتنا. ونحن نصنع هذا، لا لأننا أثرياء، ولكن لأننا نترجى أن نجذب مسامعكم لكلمة الله.

الصيد الروحي:

٣. إذن كان متوقعًا أن نهتم ببداية الكتاب (أي سفر أعمال الرسل)، وان نتكلم عن: "الكلام الأول أنشأته يا ثاؤفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به"[١٥]. لكن الرسول بولس لا يتركني اتّبع هذا الترتيب، لأنه يجذب حديثي إليه والى كل ما فعلة. كم كنت اشتهي أن ترونه وهو يدخل دمشق مُقيدًا، لا بسلسلة حديدية، ولكن بصوت الرب. اشتهي أن ترون هذه السمكة الكبيرة وهي تُصطَاد، تلك التي جعلت البحر يضطرب، والتي أثارت أمواجا هائجة ضد الكنيسة. اشتهي أن ترونه يُصطَاد، لا بصنارة، لكن بكلمة الرب. لأنه مثل الصياد الذي يجلس على صخرة مرتفعة ويمسك بالصنارة ويلقيها من علو في البحر، هكذا بالضبط صنع إلهنا، الذي اظهر لنا الصيد الروحي. كما لو كان يجلس على صخرة السموات المرتفعة، بعدما

---

١٥ أع ١ : ١.



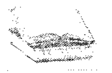
ترك مثل هذه الصنارة من علو، وبعدما قال "شاول شاول لماذا تضطهدني" [١٦]، اصطاد هذه السمكة الكبيرة.

وكما حدث مع تلك السمكة التي اصطادها القديس بطرس، بعدما تلقى أمرًا من الرب هكذا حدث مع القديس بولس. لان هذه السمكة وَجد في فمها عملة، لكنها عملة مُزيفة، إذ كانت لدية غيرة، ولكنها لم تكن مصحوبة بمعرفة مستقيمة. ولهذا بعدما منحه الله المعرفة، جعل هذه العملة حقيقية. وما يحدث في الأسماك التي تُصطاد، هكذا حدث لبولس. فكما تصاب الأسماك بعد صيدها بالعمى بمجرد سحبها من البحر إلى الخارج، هكذا أصيب بولس على الفور بالعمى، بمجرد أن بلع الصنارة.

لكن فقدان بصره هذا جعله يتطلع نحو خدمة كل المسكونة. أتمنى أن تتأملوا في هذا. لأنه بالحقيقة لو أن البربر أحاطوا بنا، وأحدث الأعداء بنا خسائر كثيرة وكبيرة على جبهة القتال، ثم بعد ذلك جاء قائد البربر الذي قاد آلات حربية عديدة ضدنا، وتسبب في حالة ارتباك في صفوف جيوشنا، وخلق حالة من الاضطراب والانزعاج،

---

١٦ أع ٩ : ٤



وهدد بأن يحرق مدينتا ويُشعل فيها النار، وأن يُخضعها للعبودية، هذا القائد لو قُبض عليه فجأة وأَسَره ملكنا، وأُقتيد إلى المدينة، فإننا سنركض جميعًا مع النساء والأولاد، لكي نراه. ولأنه الآن أيضًا توجد حرب ـ من نوع خاص ـ حيث يُثير اليهود قلقًا واضطرابًا ويوجهون سهامًا كثيرة ضد الكنيسة وسلامها، وكأن بولس قائد الأعداء الذي فعل وتكلم أكثر من الجميع، وفي كل شيء كان يُثير قلقًا واضطرابًا، هذا قد قيّده ربنا يسوع المسيح ملكنا، قيّده واحضره أسيرًا، هذا الذي أثار إضطراب في كل شيء، آلا نخرج جميعًا حتى نرى بولس وهو يقودونه أسيرا؟ لأن الملائكة أيضًا في تلك اللحظة التي فيها رأوه وهو مُقيدًا، مُقتادًا إلى المدينة، قد فرحوا لا لأنهم رأوه مُقيدًا فقط، بل لأنهم فكروا كم من الناس سيحلّهم من قيودهم. ولا لأنهم رأوه وهم يقودونه من يده، بل لأنهم فكروا كم من الناس سيقودهم من الأرض إلى السماء. ولهذا فرحوا، لا لأنهم رأوه أعمى، لكن لأنهم قدّروا كم من الناس سينتشلهم من الظلام. هكذا قال له الله اذهب إلى الأمم، وبعدما تُخرجهم من الظلام، ستنقلهم إلى ملكوت محبتي.

محبة بولس:

ولذلك ساترك افتتاحية السفر، واتي مباشرة إلى المنتصف. لان محبة القديس بولس تُلزمنا أن نصنع هذه القفزة. بولس والشوق لبولس. سامحوني أو الأفضل إلا تسامحوني، بل أن تغاروا من محبتي له. لان ذاك الذي لديه محبة شديدة، يطلب وبشكل مُبرر المسامحه. بل أن من لديه مثل هذه المحبة، ليته يتزين بالاشتياق، وليجعل الكثيرين شركاءًا له في ذلك، وليجعل الآلاف عاملين معه.

فلو حدث وسلكنا بشكل قانوني وتقدمنا في قراءة السفر بترتيب، أي نتكلم عن الأمور من البداية ثم نصل إلى المنتصف، فلن نصل مباشرة إلى المنتصف. لكن نظرًا لان قانون الآباء يُوصي بأن ننتهي من قراءة سفر الأعمال بعد نهاية الاحتفال بيوم الخمسين، خَشيتُ ـ خاصة وإننا سننشغل بدراسة الأجزاء الأولى لهذا السفرـ أن يفوتنا تتابع الأحداث ولهذا أسرعت في سرد بداية الرواية، وبدايتي كانت نهاية افتتاحية القصة لقد نصحتكم أن تظلوا في أماكنكم وان تقفوا في بداية الطريق. إذن بعد أن كنت خائفًا في بداية السفر، سأتقدم بجرأة

فيما بعد لأتناول جميع الأمور الباقية، حتى وان كان الاحتفال قد انتهى. فلن يتهمنا احد بأننا نتكلم في وقت غير مناسب، طالما أن الاحتياج أو الضرورة نفسها، تُسقط عنا الاتهام بالكلام في غير مناسبته، حتى نستطيع أن نكمل حديثنا. ولهذا ركضت متجاوزًا البداية إلى المنتصف. من المؤكد انه لم يكن ممكنًا أن نصل إلى بولس ونحن نسير خطوة خطوة.

٤. لقد شاركنا في الاحتفال حتى انتهى النصف الأول منه ثم بدأنا نشرح لكم المكتوب فقط، فلو إننا شرعنا في عرض هذا الكتاب مُبتدئين من الافتتاحية، حتى نصل إلى الحديث عن بولس، لإستغراق هذا وقتًا طويلاً، ولكن من الأفضل أن أُشير إلى الافتتاحية. "الكلام الأول الذي أنشأته يا ثاؤفيلس عن جميع". كم عدد الموضوعات التي تعتقدون أنها أُنشأت هنا؟

أولا: لأي سبب يُذكّره بكتابه الأول؟

ثانيًا: لماذا يدعوه "كلاما" وليس إنجيلاً، وان كان بولس يدعو هذا إنجيلاً، قائلاً: "الذي مدحُهُ في الإنجيل في جميع الكنائس"[١٧]،

ثالثًا: لماذا يقول "عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله"

[١٧] ٢كو ٨ : ١٨

لأنه إن كان يوحنا التلميذ المحبوب للمسيح، الذي كانت له جرأة عظيمة هذا الذي استحق أن يسند رأسه على صدر الرب، الذي استقى من ينابيع الروح القدس، لم يجروء أن يقول هذا، لكنه تكلم بتأكيد شديد، حتى انه قال: "وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع أن كُتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة"[18] .

فكيف تجرأ لوقا على أن يقول: "الكلام الأول الذي أنشأته يا ثاؤفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله؟" هل يبدو لنا أن هذا الموضوع بسيطًا؟

أيضًا انجيل لوقا يقول: "أيها العزيز ثاؤفيلس"[19] مادحًا الاسم. لان هذا لم يُقال ولا حتى للقديسين. وهذا أيضًا برهن عليه جزئيًا، أي انه ولا حتى حرف يوتا (i) ولا فَصله، يمكن أن توجد مصادفة في الكتب المقدسة. إذن أن كان في افتتاحية السفر (سفر الأعمال)، توجد عدة موضوعات، فكم من الوقت سنستغرق لنفحص كل الموضوعات اللاحقة؟ ولهذا اضطررت أن آتي إلى بولس، بعدما تجاوزت المسائل الأولى في السفر.

---

[18] يو ٢١ : ٢٥
[19] لو ١ : ٣

إذن لأي سبب تكلّمنا عن المشاكل دون أن نقدم الحل لها؟ لكي نُعوّدكم على ألاّ تقبلوا دومًا الطعام المجهز، بل في مواضع عدة، أن تُعطوا انتم من أنفسكم الحل والمعاني المقصودة، الأمر الذي يفعله الحمام. لان الحمام يطعم صغاره في الفم، طوال الوقت التي يبقى فيه في عشه. لكن عندما يتمكن من إخراجها من العش، ويرى أن أجنحتها قد تشددت، لا يعود يطعمها في الفم، بل يحمل البذور في أفواهه ثم يُظهرها، وعندما تأتي الصغار التي تنتظر الطعام بالقرب منها. فإن الأمهات تترك البذور في الأرض، ويحثوهم على أن يلتقطونها بأنفسهم. هكذا نصنع نحن أيضًا، نأخذ الطعام الروحي في الفم، وندعوكم لكي يظهر لكم الحل كما هو معتاد. لكن لأنكم أتيتم وانتظرتم أن تأخذوا، تركناكم، حتى يمكنكم أن تفهموا المعاني بأنفسكم.

ولهذا تركنا افتتاحية السفر، وأسرعنا إلى بولس. وسنتكلم ليس فقط عن كل ما أفاد الكنيسة، بل وكل ما تسبب في إعاقة عملها، لان هذه العظة هي ضرورية جدًا بالنسبة لنا. سنتكلم عن كيف حارب بولس المسيح، كيف اضطهد الرسل، وكيف كان إيمانه شديدًا بمعتقدات الأعداء

(اليهود)، كيف أزعج الكنيسة أكثر من الجميع؟ لكن لا يجب أن يستحي احد من بولس، عندما يسمع كل هذا. لان هذه ليست اتهامات، بل أسسًا للمديح. فكون أن بولس كان سيئًا من ذى قبل ثم أصبح صالحًا، فهذا لا يُعد اتهاما يوجه ضده. أما الاتهام هو أن يكون صالحًا، ثم يتجه بعد ذلك إلى إرتكاب الشر، لان الأمور تُقيَّم دائمًا في نهايتها. فإن ربان السفينة، وان كان قد جاز حالات غرق كثيرة، إلا أنه حين يعقد النية في الإبحار بسفينة مملؤة بأحمال ثقيلة، فإننا نتهمه بعدم الخبرة في القيادة لو لم يحسن التصرف في قيادته، لان النهاية هي التي تُغطي على ما يحدث في البدايات. والرياضيين أيضًا لا نحرمهم من الإشادة والمديح إذا ما فازوا في المباراة النهائية، حتى لو كانوا قد هُزموا من قبل.

الثعلب صار راعيًا:

هكذا فلنسلك نحن أيضًا تجاه بولس. لان ذاك قد غرق مرات عديدة، لكن عندما نوى أن يُبحر قاد السفينة سالمة وهي مُحملة بأحمال ثقيلة. ومن ناحية أخرى فإن يهوذا قد أصبح خائنًا ولم ينتفع من الماضي على الرغم من انه كان

تلميذًا ، أما بولس فلم يُعاني شيئًا من الماضي، برغم انه كان مُضطهِدًا ، طالما انه قد صار مُبشرًا. وفي هذا كله مدح لبولس، لا لأنه هدم الكنيسة، بل لان هو نفسه قد بناها أيضًا. لا لأنه حارب البشارة، بل لأنه بعدما حاربها ، هو نفسه قد كثّف البشارة. لا لأنه اضطهد الرسل، وشَّتت الرعية، بل لأنه بعدما شتتها ، هو نفسه لمَّ شملها.

٥. هل هناك ما هو أكثر غرابة من هذا الأمر؟ الثعلب صار راعيًا. ذاك الذي شرب دم الخراف، لم يتوقف عن أن يسفك دمه من اجلها. أتريد أن تعرف كيف شرب دم الخراف وكيف أن لسانه صار لون الدم؟ "وأما شاول فكان لم يزل ينفث تهددًا وقتلاً على تلاميذ الرب"[٢٠] . لكن ذاك الذي كان ينفث تهددًا وقتلاً وسفك دم المؤمنين، اسمع كيف انه سفك دمه من اجل المؤمنين " أن كنت كانسان حاربت وحوش في افسس"[٢١] ، وأيضًا يقول:" أموت كل يوم"[٢٢] ، وأيضًا " قد حسبنا مثل غنم للذبح"[٢٣] . وهذه

---

٢٠ أع ٩ : ١
٢١ ١كو ١٥ : ٣٢
٢٢ ١كو ١٥ : ٣١
٢٣ رو ٨ : ٣٦



كلها قد قالها ذاك الذي كان حاضرًا حين سُفك دم اسطفانوس وكان راضيًا بقتله[٢٤] . أرأيت كيف أن الثعلب قد صار راعيًا؟ إذن لا تنزعجوا عندما تسمعوا انه كان من قبلً مُضطهِدًا، ومُجدفًا، ومُهينًا.

أرأيتم كيف أن اتهامه السابق، قد جعل مدحه أعظم؟ الم اقل لكم في اجتماعنا السابق أن المعجزات بعد الصلب، صارت أعظم من المعجزات قبل الصلب؟ الم أُبيّن لكم هذا بواسطة المعجزات، ومن خلال محبة التلاميذ، وكيف انه قبل الصلب، قد أمر المسيح فأقام الأموات، أما بعد الصلب فظلال عبيده أقامت أمواتا؟ وكانت المعجزات تحدث قبل الصلب بأمر من الرب، ثم بعد ذلك كان عبيده يصنعون معجزات أعظم بمجرد أن ينطقوا بإسم الرب؟ الم أحدثكم عن أعدائه، كيف انه أوخز ضميرهم؟ كيف انتصر على كل المسكونة؟ وكيف أن المعجزات بعد صلبه كانت أعظم من المعجزات قبل صلبه؟

---

٢٤ أع ٧ : ٦٠

قوة المسيح وتغيير بولس:

وهل هناك ما هو أعظم من مُعجزة تحوّل بولس؟ لأنه في فترة حياة المسيح على الأرض، أنكره بطرس، وبعدما جاز الموت، امن به بولس. وكون انه قد جذب وآسر فكر بولس إليه، فهذا ما يُعد معجزة أعظم من أن تُقيم أمواتا بظلال الرسل.، لان الطبيعة هنا (أي طبيعة الرسل وطبيعة النفس) قد استجابت لمن أصدر الأمر. أما في معجزة بولس فكان الأمر يتوقف على إرادة بولس إما أن يقتنع أو لا.

هكذا تتضح القوة الجبارة لذاك الذي أقنعه. لأن تغييّر رغبة شخص، يعد أعظم بكثير من أن تُغيّر أو تصحح الطبيعة. وبناءًا على ذلك فإن قبول بولس للمسيح بعد صلبه ودفنه، فهذا ما يُعتبر أعظم بكثير من المعجزات كافة. ولهذا تركه المسيح لكي يُظهر كل كره، ثم بعد ذلك دعاه، لكي يُقيم الدليل علي القيامة، ويكون تعليم كرازته، قويًا ولا يقبل الشك.

ربما يشك البعض في استفادة القديس بطرس من تعاليم المسيح، هكذا يمكن لشخص سفيه أن يقول شيئًا مثل هذا. وقد قلت سفيه، لأنه

كان هناك أيضًا بالنسبة للقديس بطرس، دليلاً واضحًا جدًا. من المؤكد أن بطرس أنكر المسيح قبلاً، وأنكره بقسم، ولكن اعترف به بعد ذلك، بل وقدم نفسه من اجله. فإن لم يكن، ذاك الذي رفضه عندما كان حيًا، قد قام ما كان له أن يصبر على ميتات كثيرة حتى انه لم ينكره عندما أتت لحظة إنتقاله من هذا العالم. ولهذا كان دليل القيامة واضحًا في الرسول بطرس. ولكن كان يمكن للسفهاء أن يقولوا أن بطرس بشّر بقيامة المسيح، لأنه جلس معه على المائدة، وكان بالقرب منه ثلاث سنوات، ولأنه سمع تعاليمه، ولكن عندما نرى بولس الذي لم يعرف المسيح، ولم يسمعه، ولم يشارك في سماع تعاليمه، والذي حاربه بعد صلبه، وقتل الذين امنوا بإسمه، وأثار قلقًا واضطرابًا في كل شيء، عندما تراه يتغير فجأة ويجوز الآلام من اجل تبشير كل أحباء المسيح، اخبرني أي تبريرًا سفيهًا ستسوقه بعد ذلك، عندما لا تؤمن ببشارة القيامة؟ إذن إن لم يكن المسيح قد قام، فمن جذب وقرب إليه ذاك الذي كان متوحشًا إلى هذا الحد الكبير، الذي حارب المسيح بكل ما أوتي من قوة، وكان

متقسّيًا بهذا الشكل البشع؟ اخبرني إذن أيها اليهودي من اقنع بولس أن يأتي إلى المسيح؟ هل يعقوب؟ هل يوحنا؟ هل أندراوس؟ إن كل هؤلاء كانوا يخافونه، ويرتعدون منه، وليس من ذى قبل فقط، بل وعندما صار رفيقًا لهم، عندما أخذه برنابا من يده واحضره إلى أورشليم، خافوا أيضًا أن يقتربوا منه. ومن المؤكد أن حربه ضد المسيحيين كانت قد توقفت، ألاّ أن الخوف ظل عند الرسل.

إذن فالذين تصالحوا معه، كانوا لا يزالون بعد يخافونه، وعندما كان عدوًا ومقاومًا، هل كانوا سيجرؤا على إقناعه؟ وعندما تحوّل بشكل نهائي، هل احتملوا أن يواجهوه، أو أن يفتحوا أفواههم، أو أن يَظهروا أمامه؟

لم يكن ما حدث هو محاولة إنسانية، لكنه عمل النعمة الإلهية. إذن لو أن المسيح قد مات ولم يقم كما تقولون، وأن تلاميذه قد أتوا وسرقوه، فكيف حدثت معجزات أعظم بعد الصلب؟ كيف أصبحت البراهين على قوته أكثر؟ إنه ليس فقط عدوًا، بل هو الذى كان يقود الحرب ضد الكنيسة وعلى الرغم من أنه لو كان قد قَبَضَ هنا على العدو والمحارب وأخذه أسيرًا

لكان هذا دليلاً على عظم قوته. لكنه الآن لم يصنع هذا فقط، بل صنع أكثر بكثير. لان الله لم يُغيّره فقط، بل قد جعله له بالكامل، من أحبائه المقربين، حتى أنه استأمنه على كل أمور الكنيسة. لان الرب قال:"لان هذا إناء مختار ليحمل اسمي أمام أمم وملوك"[٢٥] ، لقد إقتنع أكثر من جميع الرسل أن يتعب من اجل الكنيسة، التي حاربها هو نفسه في السابق.

٦. أتريد أن تعرف كيف غيّره؟ كيف جعله له؟ كيف جذبه؟ كيف اعتبره من أحبائه المقربين؟ لم يستأمن إنسانا أخر لكي يُطلعه على أسراره، كما فعل مع بولس. ومن أين يتضح هذا؟ يقول:"سمعت كلمات لا يُعبر عنها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها"[٢٦] . أرأيت مقدار المحبة التي أظهرها العدو والمحارب؟ ولهذا من الضروري أن نتكلم عن حياته السابقة، لأنه حقًا قد اظهر لنا قوة الله ومحبته نحو البشر. هذه المحبة تتجلى في أن الله أراد أن يُخلّص ذاك الذي صنع كل هذه الشرور، وجذبه إليه، أما عن القوة لأنه عندما أراد أن يغيّره، حقق ما أراد.

---

[٢٥] أع ٩ : ١٥

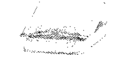
[٢٦] ٢كو ١٢ : ٤

هذا ما يُظهره بولس نفسه، انه لم يصنع شيئًا حبًا منه للمخالفين، ولا بنية سيئة مثل بعض الناس، مثل اليهود، ولكنه سلك بغيرة شديدة، وان كان سلوكه غير سليمًا، وعلى أية حال فقد سلك بغيرة لله. هذا ما صرح به هو نفسه قائلاً: "فعلت بجهل في عدم إيمان"[٢٧] . وقد قال مفتخرًا بمحبة الله للبشر: "ليُظهر يسوع المسيح فيَّ أنا أولا كل أناة مثالاً للعتيدين أن يؤمنوا به للحياة الأبدية"[٢٨] . وفي موضع أخر يقول: "وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين"[٢٩] .

تحوّل بولس برهان علي محبة الله للبشر:

أرأيت كيف أن حياة بولس السابقة برهنت على قوة الله ومحبته للبشر؟ هذا ما قد حمله كدليل عندما كتب لأهل غلاطية، من جهة انه لم يتغير إرضاءًا للبشر، لكنه تحول بقوة إلهية "فلو كنت ارضي الناس لم أكن عبدًا للمسيح"[٣٠] . ومن أين يتضح انه قد تحوّل للكرازة ليس إرضاءًا للناس؟ من قوله "سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة

٢٧ ١تيمو ١ : ١٣
٢٨ ١تيمو ١ : ١٦
٢٩ أف ١ : ١تيمو ١ : ١٣.
٣٠ غل ١ : ١٠

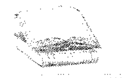


اليهودية إني كنت اضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها"[٣١] . فلم يكن له أن يتحول إلى الإيمان، لو انه أراد أن يُرضي الناس. لماذا؟ لان اليهود كانوا يقدرونه، وكان يشعر بأمان كبير، ونال كرامة متميزة. فما كان له أن يتقدم في حياة الرسل المملوءة بالمخاطر، والتي كانت تحمل سمعه غير طيبة، وكانت مملوءة بالآلام، لو كان هذا إرضاءًا للناس. وبناء عليه فإن هذا التغييّر، والتحوّل الذي حدث فجأة، وكون انه هجر الكرامة التي كانت له وسط اليهود، والحياة المستقرة، واستبدلها بحياة الرسل التي كانت تجتاز ميتات كثيرة، لهو خير دليل على أن بولس لم يتغير بتأثير إنساني.

ولهذا فنحن أيضًا أردنا أن نستعرض حياة بولس السابقة وان نُبيّن غيرته القوية الملتهبة ضد الكنيسة، حتى عندما ترى رغبته القوية نحو الكنيسة، تفتخر بالله الذي فعل كل شيء، وحوله. ولهذا فإن القديس لوقا، حكى لنا الأمور السابقة بالتفصيل وبتشديد كبير، قائلاً:"أما شاول فكان لم يزل ينفث تهددًا وقتلاً على تلاميذ الرب". وأردت أنا نفسي أن

---

٣١ غل ١ :١٣



ابدأ من افتتاحية السفر، وان أتكلم عن بداية القصة، ولكنني رأيت انه من الاسم فقط تخرج معاني كثيرة، لأنني فهمت كم من المشاكل يضع أمامنا هذا (شاول)، لأنني أرى في رسائله أنه يوجد اسم أخر "بولس عبد ليسوع المسيح، ها أنا بولس أقول لكم"[٣٢] . الآن يقال له بولس، وفي كل مكان هو بولس، وليس شاول. لأي سبب دُعي من قبل شاول وفيما بعد بولس؟ الموضوع ليس على هذه الدرجة من البساطة. لان بطرس قَبلِ على الفور تغيير اسمه، فكان قبلاً يُدعى سمعان، ثم بعد ذلك دُعي كيفا. وابنيِّ زبدي، يعقوب ويوحنا، كانا قد دُعيا ابنيِّ الرعد. وليس فقط في العهد الجديد، بل في العهد القديم أيضًا نجد أن إبراهيم، كان يُدعى أبرام، ويعقوب كان يُدعى في البداية باسمه، وفيما بعد إسرائيل، وسارة كانت تُدعى ساراي وفيما بعد سارة. إذن فتغيير الأسماء يعطينا فرصة كبيرة لبحث كبير، وأخشى أن تغرق كلمة التعليم عندما نفتح كثير من انهار البحث. لأنه كما يحدث أن يخرج ماء من كل ناحية عندما يُحفر موضعًا رطبًا، هكذا أيضًا حقل الكتب

٣٢ رو ١ : ١، ١كو ١ : ١، غل ٥ : ٢



المقدسة، فحينما تفتح موضعًا (للتفسير)، سترى أن أنهارًا كثيرة تبدأ في التدفق وإذا لم نوقفها اليوم، فسنُحاط بحية ضخمة.

ولهذا تحديدًا فبعدما نسد مجرى مائنا، سأحيل محبتكم إلى مصدر الماء الذي يتمثل في هؤلاء الأساقفة والمعلمين، هذا المصدر النقي، والصالح للشرب، والمبهج، والذي تخرج منه ماء من الصخرة الروحية. فلنُعِد أنفسنا لكي نستقبل التعليم، وان نستقي الماء الروحي، حتى يصير داخلنا مصدر ينبع منه ماء لنربح الحياة الأبدية. ليتنا جميعًا نربح هذه الحياة بالنعمة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح المحييّ

المجد والكرامة والقوة الآن وكل

أوان والى دهر الدهور
أمين.

م



إن لم يكن المسيح قد قام، فمن جذب وقرب إليه ذاك الذي كان متوحشًا إلى هذا الحد الكبير، الذي حارب المسيح بكل ما أوتي من قوة، وكان متقسّيًا بهذا الشكل البشع؟ اخبرني إذن أيها اليهودي من اقنع بولس أن يأتي إلى المسيح؟ هل يعقوب؟ هل يوحنا؟ هل أندراوس؟ إن كل هؤلاء كانوا يخافونه، ويرتعدون منه، وليس من ذى قبل فقط، بل وعندما صار رفيقًا لهم، عندما أخذه برنابا من يده واحضره إلى أورشليم، خافوا أيضًا أن يقتربوا منه. ومن المؤكد أن حربه ضد المسيحيين كانت قد توقفت، إلاّ أن الخوف ظل عند الرسل.

• المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية ت : ٢٢٤١٤٠٢٣.
E-mail: opcc2007@yahoo.com Website: www.patristiccairo.com

سعر النسخة :
١٢,٠٠ جنيه